

العنوان:	الصحة النفسية المتضمنة في كتاب الأخلاق والسير للإمام ابن حزم الأندلسي: دراسة تربوية
المؤلف الرئيسي:	نعمان، آمال محي الدين أحمد
مؤلفين آخرين:	الحسن، أحمد ضياء الدين حسيذ(مشرّف)
التاريخ الميلادي:	2023
موقع:	إربد
الصفحات:	1 - 118
رقم MD:	1496131
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
اللغة:	Arabic
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	جامعة اليرموك
الكلية:	كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
الدولة:	الأردن
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	الكتب الإسلامية، الأخلاق والسير، الصحة النفسية، التوافق الذاتي، ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد، ت. 456 هـ.
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/1496131

لإستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب إسلوب الإستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

نعمان، آمال محي الدين أحمد، و الحسن، أحمد ضياء الدين حسين. (2023). الصحة النفسية المتضمنة في كتاب الأخلاق والسير للإمام ابن حزم الأندلسي: دراسة تربوية (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة اليرموك، إربد. مسترجع من <http://1496131/Record/com.mandumah.search/>

إسلوب MLA

نعمان، آمال محي الدين أحمد، و أحمد ضياء الدين حسين الحسن. "الصحة النفسية المتضمنة في كتاب الأخلاق والسير للإمام ابن حزم الأندلسي: دراسة تربوية" رسالة ماجستير. جامعة اليرموك، إربد، 2023. مسترجع من <http://1496131/Record/com.mandumah.search/>

الفصل الثاني

التعريف بان حزم الأندلسي ومؤلفاته

1.1. المبحث الأول: التعريف بابن حزم الأندلسي.

قسمت الباحثة الفصل إلى مبحثين، تناولت فيها: التعريف بابن حزم الأندلسي من حيث اسمه ونشأته ومناصبه وصفاته. بينما تناولت في المبحث الثاني من هذه الدراسة العوامل النفسية المؤثرة في حياة ابن حزم. وهذا التقسيم جاء كالآتي:

1.1.1. المطلب الأول: الإمام ابن حزم الأندلسي (اسمه، نشأته، مناصبه وإنجازاته، صفاته).

أولاً: اسمه: هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد، الأندلسي القرطبي مولداً ونشأه، الظاهري منهجاً، فكان جده يزيد مولى يزيد بن أبي سفيان بن حرب - أخي معاوية، والده الفقيه أبي محمد بن حزم، ولد في قرطبة سنة أربع وثمانين وثلاث مئة، تربى في أسرة عرفت الإسلام وكانت تحتل مكانة رفيعة كواحدة من كرام العائلات بالأندلس في عهد الحكم المستنصر⁽¹⁾.

وقد أثرت شخصية والده الذي حظي بمكانه مرموقة في الحياة السياسية، في توفير حياة الرفاهية لابن حزم فارتاح باله من كد العيش والسعي وراء الرزق وتفرغ لتحصيل العلوم والفنون، أما والده فلم تأتي المصادر والدراسات بأي معلومة عنها وعن حياتها وعن علاقتها بابن حزم⁽²⁾.

ثانياً: نشأته: عاش ابن حزم حياته الأولى في صحبة أخيه أبي بكر، الذي كان يكبره بخمس سنوات، في قصر أبيه أحد وزراء المنصور بن أبي عامر وابنه المظفر من بعده. وكانت

(1) الذهبي، عبد الله، سير أعلام النبلاء، بيت الأفكار الدولية، لبنان، 2004، الجزء 1، ص 78.

(2) الحموي، ياقوت، معجم الأدباء، تحقيق أحمد الرفاعي، دار المأمون، القاهرة، 1936، ص 58.

تربيته في تلك الفترة على أيدي جوارى القصر الذي كان مقامًا في الشارع الآخذ من النهر الصغير على الدرب المتصل بقصر الزاهرة، والملاصق لدار المنصور بن أبي عامر، ومن ذلك نعرف مدى المكانة التي كان يحظى بها والد ابن حزم لدى المنصور بن أبي عامر حتى جاوره في السكن⁽¹⁾.

خرج ابن حزم من أسرة عرفت الإسلام منذ جده الأعلى "يزيد بن أبي سفيان"، وكان أول من دخل الأندلس من أسرته في صحبة الأمير عبد الرحمن الداخل، وكان مقامه في لبلة، ومن ذلك نعرف أن مقر هذه الأسرة كانت الشام بعد مشاركة يزيد أصل هذه الأسرة في الفتوحات الإسلامية، ولما خرج عبد الرحمن إلى الأندلس خرج معه خلف بن معدان وهناك مصادر تؤكد أنه من أصل إسباني⁽²⁾.

كما نشأ ابن حزم في بيت عز ومال وجاه عريض وكان يعتز ببيئته ويعتز بأن طلب العلم لا يبغى منه مالا ولا جاهًا بل يبغى به النور، وتوفي في شعبان سنة ست وخمسين وأربعمائة من الهجرة عن اثنين وسبعين سنة⁽³⁾.

ثالثًا: مناصبه وإنجازاته: تولى ابن حزم وزارة للمرتضي في بلنسية، ولما هزم وقع ابن حزم في الأسر وكان ذلك في أواسط سنة (409 هـ)، ثم أطلق سراحه من الأسر، فعاد إلى قرطبة. كما تولى الوزارة لصديقه عبد الرحمن المستظهر في رمضان سنة (412 هـ)، ولم يبق في هذا المنصب أكثر من شهر ونصف، فقد قتل المستظهر في ذي الحجة من السنة نفسها، وسجن ابن حزم ثم عفي عنه. وتولى الوزارة أيام هشام المعتد فيما بين سنتي (418-422 هـ).

(1) ابو زهرة، محمد، ابن حزم حياته وعصره، دار الفكر العربي، القاهرة، 1978، ص31.

(2) هلال، ابراهيم، الأصول والفروع لابن حزم، دار النهضة العربية، القاهرة، 1978، الجزء 1، الطبعة 1، ص20.

(3) عبد الكريم، صبحي، ابن حزم الظاهري، دار الصحابة للتراث، طنطا، 1990، ص9.

ومن حيث إنجازاته، فقد قضى ابن حزم حياته ساعياً وراء العلم، حتّى كان موسوعة تمشي على قدمين، فلم يترك علماً من العلوم إلّا وطرقه، كما أنّه ألّف وأثرى المكتبة العربية بمجموعة من المؤلفات المفيدة في كثير من العلوم والمعارف، ومن أبرز كتبه: (الفصل في الملل والأهواء والنحل، وطوق الحمامة، وجمهرة أنساب العرب، ونقطة العروس)، كما أنّه له في التصنيف كتاب (التقريب في بيان حدود الكلام وكيفية إقامة البرهان، والأخلاق والسير، والفصل بين النحل والملل، والدرّة في الاعتقاد).

ومن إنجازاته أيضاً، كتاب (التحقيق في نقض كلام الرازي، والتهديد في بعض كتاب الفريد، واليقين في النقض على عطف في كتابه عمدة الأبرار، والنقض على عبد الحق الصقلي، وزجر العاوي وإخسائه ودحر الغاوي وإخزائه، ورواية أبان يزيد العطار عن عاصم)، كما ألّف ابن حزم (الرد على من قال إن ترتيب السور ليس من عند الله بل هو فعل الصحابة، والنّبذ في الأصول، والنكت الموجزة في إبطال القياس والتعليل والرأي، والنقض على أبي العباس بن سريج، والرد على المالكية، والاتصال في شرح كتاب الخصال، والمحلّى، والمعلّى في شرح المحلّى)، كلّ هذه الإنجازات جعلت من ابن حزم الظاهري قامة فكرية وعلمية من القامات التي يفخر بها تاريخ الأندلس بشكل خاص وتاريخ المسلمين بشكل عام، ولكنّ ما يبعث على الحزن واليأس هو أنّ معظم - إن لم نقل كلّ - هذه المؤلفات العظيمة أحرقت في إشبيلية بعد أن قلب الفقهاء الناس والحاكم على ابن حزم أيام الفتنة⁽¹⁾.

رابعاً: صفاته: كان ابن القيم شديد التتبع لآثار وكتب ابن حزم، وكان يصفه بمنجنيق العرب أو بمنجنيق الغرب. وكانت الناس تضرب المثل في لسان ابن حزم، فقليل عنه: سيف الحجاج ولسان ابن حزم شقيقان، فلقد كان ابن حزم يبسط لسانه في علماء الأمة وخاصة خلال مناظراته

(1) الداية، محمد، ابن حزم القرطبي، دمشق، 2013، ص12.

مع المالكية في الأندلس، وهذه الحدة أورثت نفورًا في قلوب كثير من العلماء عن ابن حزم وعلمه ومؤلفاته، وكثر أعداؤه في الأندلس (1).

وحدث أن تعرضه لفقهاء عصره الجاحدين، مكن هؤلاء أن يقلبوا عليه المعتضد بن عباد أمير اشبيلية، فأصدر قرارًا بهدم دوره ومصادرة أمواله وحرق كتبه، وألاً يغادر بلدة أجداده، ولا يفتي أحد بمذهب مالك أو غيره، وتوفي سنة 1064 م، ولما حرقوا كتبه تألم كثيرًا فقال:

إن تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي	تضمنه القرطاس بل هو في صدري
يقيم معي حيث استقلت ركائي؟	وينزل إن أنزل ويدفن في قبري
دعوني من إحراق رق وكاغد	وقولوا بعلم كي يرى الناس من يدري
والأفعاد بالكتائب بدءة	فكم دون ما تبغون لله من ستر
كذاك النصارى يحرقون إذا علت	أكفهم القرآن في مدن الثغر ⁽²⁾

- ومن حيث صفات ابن حزم العلمية، فقد كان مجتهد مطلق، وإمام حافظ، كان شافعي الفقه، فانقل منه إلى الظاهرية، ووافق العقيدة السلفية في بعض الأمور من توحيد الأسماء والصفات وخالفهم في أخرى وكل ذلك كان باجتهاده الخاص، وله ردود كثيرة على الشيعة واليهود والنصارى وعلى الصوفية والخوارج، كما أصل ابن حزم ما يعرف عادة بالمذهب الظاهري وهو مذهب يرفض القياس الفقهي الذي يعتمد عليه الفقه الإسلامي التقليدي، وينادي بوجوب وجود دليل شرعي واضح من القرآن أو من السنة لتثبيت حكم ما، لكن هذه النظرة الاختزالية لا توفي ابن حزم حقه فالكثير من الباحثين يشيرون إلى أنه كان صاحب مشروع كامل لإعادة تأسيس الفكر الإسلامي من فقه وأصول فقه. كان الإمام ابن حزم ينادي بالتمسك بالكتاب والسنة وإجماع الصحابة ورفض ما عدا ذلك في دين الله، لا يقبل القياس والاستحسان والمصالح المرسلة التي يعتبرها محض

(1) الأرملي، أحمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار الصادر، بيروت، 1972، ج 3، ص 448.

(2) الداية، محمد، ابن حزم القرطبي، مرجع سابق، 2013، ص 11.

الظن. يمكن أن نقّص من حدّة الخلاف بينه وبين الجمهور، حول مفهوم العلة وحجيتها، إذا علمنا أن كثيرًا من الخلاف قد يكون راجعًا إلى أسباب لفظية أو اصطلاحية وهو ما أشار إليه ابن حزم بقوله: "والأصل في كل بلاء وعماء وتخليط وفساد، اختلاط الأسماء، ووقوع اسم واحد على معاني كثيرة، فيخبر المخبر بذلك الاسم، وهو يريد أحد المعاني التي تحته، فيحمله السامع على غير ذلك المعنى الذي أراد المخبر، فيقع البلاء والإشكال" (1).

1. 1. 2. المطلب الثاني: من مؤلفات ابن حزم العلمية وكتاب الأخلاق والسير.

يعد ابن حزم من أكبر علماء الإسلام كما بينا آنفًا، فقد ألف الكثير من الكتب في الأدب كتاب طوق الحمامة وفي الفقه وأصوله وشرح منطق أرسطو وغيرها من العلوم، وستتطرق الباحثة في هذا المطلب إلى أهم مؤلفات ابن حزم.

- **طوق الحمامة:** يعد كتاب طوق الحمامة من أهم الكتب التي درست مظاهر الحب، حيث قسم ابن حزم في مؤلفه إلى أبواب عديدة، كباب الكلام في الحب، وباب علامات في الحب، وباب من أحب من الوصف، وباب من أحب من نظره واحده، وباب الواشي، وباب الهجر، وباب الوفاء، وباب قبح المعصية، وباب فضل التعفف. ولعل الراجح من القول أن السبب الذي دفع بابن حزم لتأليف هذا الكتاب هو أن صديقة طلب منه كتابة رسالة تصف الحب وأسبابه ومعانيه وأغراضه، فاحتوت الرسالة على ذكريات ابن حزم في الماضي التي كانت مع جوارى والده في القصر إذ تركت ذكرياته مع الجوارى شيئًا في نفس ابن حزم الأمر الذي كان سببًا في تأليف كتاب طوق الحمامة. وكتب ابن حزم أيضًا في باب الكلام عن ماهية الحب وعلاقته بالروح والشكل حيث أكد على ارتباط الحب بالروح إذ قال: "الحب أوله هزل وآخره جد، دقت معانيه لجلالته أن توصف،

(1) بن حسين، صورية عائشة باية، مدى اعتبار المقاصد الشرعية عند ابن حزم الظاهري، مقال، على الموقع Wayback، 2013، تاريخ الدخول 2023/6/13.

فلا تدرك حقيقتها إلا بالمعاناة، وليس بمنكر في الديانة، ولا بمحذور في الشريعة، إذ القلوب بيد الله عز وجل، وقد أحب من الخلفاء المهديين والأئمة الراشدين الكثير" (1).

أما باب علامات الحب الذي صنف دلائل الحب وعلاماته مثل نظرة المحبوب لمن يحب وإقباله للحديث معه، فقد تحدث عن شعور المحب بالاضطراب عند رؤية من يحب، كما تحدث عن إسراع المحبوب نحو محبوبه، وقد ذكر بأن العلاقات الأخيرة المؤكدة للحب ملابسة الحمرة للمحب إذا رأى محبوبه ويخفق قلبه عليه.

وتحدث ابن حزم أيضا من خلال هذا الكتاب عن أنواع النظرات بين المحبين فتحدث عن نظرات القبول والتأسف والوجع ونظرات الفرح وغيرها، كما ذكر بأن هناك نوعان لكي يعلن المحب عن حبه فليس كل معلى للحب هو صادق وحقيقي (2).

- المحلى بالآثار:

هو أحد الكتب الفقهية التي ألفها ابن حزم وترجع أهمية هذا المؤلف إلى كونه موسوعة فقهيه لأنه يستعرض آراء فقهاء عصره أو سلفه وآراء مدارس الفقه، كما قارن ابن حزم من خلال كتاب المحلى بالآثار بين آراء الفقهاء الأربعة حتى أثار المحلى معارك فقهيه بين العلماء. واحتوى الكتاب على موسوعة لأسماء رجال أعلام في الفقه، واحتوى كذلك سنن الحديث ذات الاسناد الكامل من خلال رواية الأحاديث فقد دأب ابن حزم على رواية أحاديث الكتاب بأسانيده الخاصة المتصلة بمصدر سندها إلى النبي صلى الله عليه وسلم. وقد قسم ابن حزم مؤلفه إلى ثلاثة أجزاء

(1) الأندلسي، علي، طوق الحمامة في ألفة والآلاف، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2016، ط1.

(2) الأندلسي، علي، طوق الحمامة في ألفة والآلاف، مرجع سابق، 2016، ط1.

أورد فيها (2312)، مسألة فقهية ومن المرجح أن ابن حزم توفي قبل اتمام كتاب المحلي بالآثار حيث يعتبر هذا الكتاب من أهم الكتب التي نشر فيها ابن حزم المذهب الظاهري⁽¹⁾.

- **الأحكام في أصول الأحكام:** كتب ابن حزم في الأحكام وأصول الأحكام وعن الألفاظ وما يتعلق بها والدلالة الشرعية لها والكلام في الإخبار وأحكامها، حيث عرض من خلاله الأوامر والنواهي الواردة في الكتاب والسنة الشريفة والعموم والخصوص والجمع والاستثناء والكناية بالضمير والإشارة بالإعجاز والتشبيه والنسخ.

كما يعتبر الأحكام في أصول الأحكام من أهم كتب أهل السنة والجماعة في أصول الفقه إذ احتوى على قوة الأخذ بالدليل وقوة الحجة والبرهان وينفي كتاب ابن حزم القياس فكان يعمل بالقياس وقد ظهر ذلك جلياً في كتابه المحلي وأصول الفقه الإسلامي فهو غني بأدلة الكتاب والسنة ويجب الإشارة إلى أن ابن حزم حاول إلزام متطرفي المذهبية بالرجوع للكتاب والسلف الصالح⁽²⁾.

- **جمهرة أنساب العرب:** من أوسع كتب النسب وأدقها حيث امتاز فيه ابن حزم بذكر الرجال والصحابة والأشراف من آل الرسول صلى الله عليه وسلم وذرياتهم والخلفاء وأبناء الخلفاء والوجوه من أصحاب السلطان والولايات وأنسابهم وأهم الأحداث التاريخية، وحاول ابن حزم الامتياز في هذا الكتاب عن غيره فقد عقد الصلة بين القبائل العربية النازحة إلى الأندلس والعرب والأنساب المتشعبة منه، كما أنه لم يغفل عن المدن والمساكن التي تجمهرت وتكاثرت فيها الجاليات، وبذلك

(1) الأندلسي، ابو محمد، المحلى بالآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ط3، ص4-5.

(2) الأندلسي، ابو محمد، الأحكام في أصول الأحكام، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983، ط2، ص23.

قد حفظ لنا أسماء البلدان والعلل حيث يعد وثيقة ذات أهمية كبيرة من هذه الناحية، ويعرض ابن حزم بيان نسب عائلات تنتمي إلى أصول إسبانية (1).

- الملل والأهواء والنحل: قدم ابن حزم في هذا المؤلف دليلاً على الفرق والمقارنة بين الأديان، حيث اهتم بدراسة عقائد أصحاب الملل غير الإسلامية كعباد الشمس والكواكب والنصرانية وحكام الهند وعبداء الأصنام، وقدم ابن حزم من خلال الكتاب آراء الفرق الإسلامية ومذاهبها كالمعتزلة وغيرها من الفرق الإسلامية. وقد تميز هذا الكتاب بمناقشة أفكار الفرق ونقلها بالاستناد إلى ما اعتمد عند كل فرقة ثم الرجوع إلى محكم القرآن وما صح من السنة، ومكث ابن حزم في تأليف هذا الكتاب مده تصل إلى عشرين عاماً وقد وافته المنية وهو ما زال ينقح فيه ويزيد عليه (2).

وهناك مؤلفات عدة لأبن حزم الأمر الذي يصعب ذكرها بالتفصيل إنما سنسرد منها:

- جوامع السيرة النبوية.
- كتاب الإمامة والسياسة في قسم سير الخلفاء ومراتبها والندب إلى الواجب منها.
- كتاب طبقات القراء.
- كتاب الفضائح.
- كتاب في جملة من دخل الأندلس من المغرب.
- تسمية الشعراء الوافدين على أبي عامر.
- قصيدة في أصول فقه الظاهرية.

(1) الأندلسي، أبو محمد، جمهرة أنساب العرب، دار المعارف، القاهرة، ط5، ص13.

(2) الأندلسي، أبو محمد، الملل والأهواء والنحل، مكتبة إسلام العالمية، 1348هـ، ص15.

وترى الباحثة أن ابن حزم الأندلسي من خلال مؤلفاته قد تطرق إلى الكثير من مجالات العلوم التي تعد ثروة وأساساً قامت عليها الكثير من العلوم الحديثة، وهو ما يجعل منه موسوعة علمية لا يمكن الاستغناء عنها في شتى مجالات العلوم الحديثة.

التعريف بكتاب الأخلاق والسير.

يعتبر كتاب الاخلاق والسير مادة علمية زاخرة لمن أراد أن يصلح أخلاقه ويروض نفسه ويقوم سلوكه ويسلك طريق الأولياء الصالحين. وقد عبر ابن حزم الأندلسي في هذا المؤلف عن شخصيته بما اتصفت به من ذكاء عظيم وعقلية كبيرة، ومعرفة واسعة، وخبرة تامة بالحياة، حيث عبّر ابن حزم فيه عن أفراحه، وأحزانه، وانتصاراته، وهزائمه، وتفاعله مع محيطه وبيئته ومجتمعه. وقد قسم ابن حزم كتاب الأخلاق والسير إلى عدة موضوعات منها: إصلاح الأخلاق والعلاقات الاجتماعية والعلم والأخلاق، وذكر فيه أسباب الأمراض النفسية وعلاجها. ومن أبرز ما تميز به كتاب الأخلاق والسير وجعل له خصوصية عن غيره من مؤلفات ابن حزم انطلاقه من قاعدته العلمية المستندة إلى اتباع نصوص الكتاب والسنة ورؤيته الفكرية المستندة في البحث إلى العقيدة الإسلامية، والتزامها في البحث النظري والتجريبي، والانطلاق من خلالها إلى تفسير حركة الحياة والناس.

ويعزى السبب في تأليف ابن حزم لهذا الكتاب إلى انحراف الناس عن السبيل القويم وغياب قدرتهم على التمييز بين الحلال والحرام في الكسب وبين الفضائل والرذائل في الأخلاق، كما أن العلماء أصبحوا عوناً على الفساد والطغيان بسبب مرض نفوسهم⁽¹⁾.

(1) أبي الفداء، سامي التونسي، الأخلاق والسير في مداواة النفوس لابن حزم الظاهري. الفكر الإسلامي المعاصر، 2004، ص2.

حيث هدف ابن حزم من تأليفه لهذا الكتاب إلى توجيه الإنسان العاقل نحو وظيفته الأساسية في هذه الحياة المتمثلة في طاعة الله - عز وجل - والتوجه إليه والاستعداد ليوم الحساب، كما بين ابن حزم الغاية الأساسية النفسية والاجتماعية لهذا الهدف والمتمثلة في طرد الهم عن النفس فهي الغاية التي يتساوى الناس في طلبها، حيث يبذل الإنسان جميع الأسباب لتحقيقها، ونبه ابن حزم إلى مسألة في غاية الأهمية، وهي أن الأسباب التي يتشبث بها الإنسان لطرد الهم أو تحقيق السعادة هي أسباب جزئية آنية موهومة بل قد تتضمن هي همومًا في ذاتها. وليس المقصود أن كل رغبة في حياة الإنسان هي هم؛ فالهم صفة ملازمة للنفس البشرية وحياتها، إنما المقصود توجيه إرادة الإنسان إلى ما يصلح به حياته ويجمع عليه قوته ويضمن له النجاح والفلاح في الحياة الدنيا والآخرة⁽¹⁾.

والقارئ لكتاب الأخلاق والسير يجد أن ابن حزم استعان في بحثه النفسي على أداتين هما: أولاً: البحث من خلال النظر في فحص الأعمال السابقة تقريرًا وتحليلًا، حيث قال: "فإني جمعت في كتابي هذا معاني كثيرة أفادنيها واهب التمييز تعالى، بمرور الأيام وتعاقب الأحوال، بما منحني عز وجل من التهمم بتصاريف الزمان والإشراف على أحواله، حتى أنفقت في ذلك أكثر عمري. وآثرت تقييد ذلك بالمطالعة له والفكرة فيه على جميع اللذات التي تميل إليها أكثر النفوس وعلى الازدياد من فصول المال. ورقمت كل ما سبرت من ذلك بهذا الكتاب لينفع الله تعالى به من شاء من عبادته، ممن يصل إليه، ما أتعبت فيه نفسي، وأجهدتها فيه وأطلت فيه فكري، فيأخذه عفواً، وأهديته إليه هدياً". ثانياً: التأمل الباطني والاستنباط الذاتي لمعرفة مدى استجابة الفرد لحالات نفسية معينة عن طريق الاستخبارات فيتوصل للقدرة على تحديد سلوك الفرد وانفعالاته،

(1) أبي الفداء، سامي التوني، الأخلاق والسير في مداواة النفوس لابن حزم الظاهري. الفكر الإسلامي المعاصر، 2004، ص3.

ويقول ابن حزم في ذلك: "كانت في عيوب فلم أزل بالرياضة، وإطلاعي على ما قالت الأنبياء صلوات الله عليهم والأفاضل من الحكام المتأخرين والمتقدمين أعاني مداواتها حتى أعانني الله عز وجل"، وفي قول ابن حزم هذا فهو ينقد ذاته وهو ما يعرف بالنقد الذاتي للنفس" (1).

ومن استعراض ما تقدم ترى الباحثة أن مؤلفات ابن حزم الأندلسي وخاصة كتاب الأخلاق والسير الذي هو موضوع الدراسة، إنما هي أسس وركائز لكثير من العلوم الحديثة والتي قد تسهم في تقدم العلوم رغم اختلاف البيئات، فهي ما زالت أساساً وقدوة يحتذى بها في شتى مجالات الحياة وخاصة الصحة النفسية.

1. 2. المبحث الثاني: العوامل النفسية المؤثرة في حياة ابن حزم.

1. 2. 1. المطلب الأول: الرقابة والمذهب الظاهري.

أولاً: الرقابة: تلقى ابن حزم تعليمه الأول بين النساء فأرهن حسه، كما تعلم الكتابة في نشأته الأولى، وتدريب على الخط ليكون خطه جيداً، وحفظ أشعاراً كثيرة، وكَنَّ النساء هنَّ من تولين تلقينه كل ذلك، وقال: انهن علمنه القرآن وذكر ذلك بقوله: "لقد شاهدت النساء وقد علمت أن من أسرارهن ما لا يكاد يعلمه غيري لأنني ربيت في حورهن، ونشأت بين أيديهن ولم أعرف غيريهن، ولا جالست الرجال إلا وأنا في حد الشباب وحين تقيل وجهي، وهن علمني القرآن، ورويني كثيراً من الأشعار، ودربني في الخط" (2).

ولكن أباه الذي كان قائماً على تربيته معنياً به العناية كلها، فقد كان حريصاً على تنشئته تنشأة قوية فكان لا ينأى عن مراقبته وملاحظة ميوله واتجاهاته، وهنا يكشف ابن حزم سبب عفته

(1) الأندلسي، محمد، الأخلاق والسير، دار ابن حزم، بيروت، 2000، ط1، ص9.

(2) أبو زهرة، محمد، ابن حزم حياته وعصره، دار الفكر العربي، القاهرة، 1978، ص25.

واستقامته في الحياة فيذكر أنها كانت مملوءة بالرقباء والرقائب، أي النساء اللاتي كن يراقبنه وما
أشد رقابة النساء (1).

وتلك الرقابة المحكمة المفروضة عليه لم تكن وحدها السبب في استقامته بل كانت هناك
قيادة ذاتية مع تلك الرقابة الحسية، فإنه ما إن شب عن الطوق حتى وجهه أبوه إلى صحبة أبي
الحسن الفارسي، اختصه من بين المشايخ بعزوفه عن النساء فكان بمثابة القدوة الصالحة لابن حزم
فأثر بسلوكه أكثر مما تؤثر العظات القولية والتوجيهات الكلامية فكان ذلك سبباً في غلق باب
الأهواء والشهوات في قلبه (2).

ثانياً: المذهب الظاهري

الظاهرية: هي مذهب فقهي، وقيل منهج فكري وفقهي، نشأ المذهب في بغداد في منتصف
القرن الثالث الهجري (وبذلك يعد من ضمن الثلاث القرون الأولى)، إمامهم داود بن علي الظاهري
ثم تزعمهم وأظهر شأنهم وأمرهم الإمام علي بن حزم الأندلسي.

عندما فتح العرب الأندلس سنة اثنين وتسعين من الهجرة كانت الأندلس تموج بالدعوة
الجديدة التي جاء بها المسلمون وقد أخذت تشق طريقها بهدوء ومن غير عنف، ودخل أهل
الأندلس في دين الله أفواجا (3).

في ذلك الوقت ألتمز أهل الأندلس في مذهب الأوزاعي الذي جاء به صعصعة بن سلام،
وبقي المذهب الغالب عليها حتى أدخل زياد بن عبد الرحمن المذهب المالكي وأخذ مكانة عظيمة
في دولة الأندلس، ويرجع ذلك إلى أسباب عدة أبرزها:

(1) ابن حزم، أحمد، طوق الحمامة، القاهرة، مطبعة حجازي، 1950، ص50.

(2) حسان، حسان، ابن حزم الأندلسي عصره ومنهجه وفكرة التبروي، دار الفكر العربي، القاهرة، 2018، ص32.

(3) السرجاني، راغب، قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط، مؤسسة اقرأ، 2011، ص25.

- جعل القضاء والإفتاء قاصرًا على المالكية مما جعل الناس تتفقه به رغبةً فيما عند السلطان من وظائف. لهذا السبب سيطر المذهب المالكي على غيره من المذاهب في الأندلس.

- انتشار المذهب الشافعي بعهد الأمير محمد بن عبد الرحمن، في أوساط القرن الثالث الهجري فظهر المذهب الظاهري على يد داود علي بن خلف الأصفهاني⁽¹⁾.

درس ابن حزم المذهب الظاهري على يد أبي الحيار مسعود بن سليمان بن مفلت، وقد قام هذا المذهب على أن المصدر الفقهي إنما هو ظواهر النصوص من الكتاب والسنة فلا رأي ولا إعمال للعقل في حكم من أحكام الشرع فمنع العلماء نشر هذا المذهب وأمروا بحبس كل من يعتنق المذهب، وعلى الرغم من ذلك أخذ المذهب الظاهري يشق طريقة بين الناس بين قوة الاضطهاد وعنف الأعداء الذي قوبل به من الفقهاء المالكية، فزاد هذا العداء من المقاومة عند ابن حزم ودفاعه عن مذهبه وحدة لهجته في المناظرات مما أثر على مكانته وأورثه العداء من قبل العلماء والحكام فأمر بحبسه وحرق كتبه⁽²⁾.

1. 2. 2. المطلب الثاني: الوضع السياسي والحالة الاجتماعية.

أولاً: الوضع السياسي.

تمتد حياة ابن حزم في الربع الأخير من القرن الرابع الهجري والنصف الأول من القرن الخامس وهي الفترة التي عاصرت زمن أمير المؤمنين هشام المؤيد الخليفة الأموي، فشملت أيام انحلال الخلافة الأموية وعصر ملوك الطوائف⁽³⁾.

(1) العراقي، محمد، الأصول والفروع لابن حزم الأندلسي، دار النهضة العربية، القاهرة، 1978، ط1، ص32.

(2) الزعبي، أنور، ظاهرية ابن حزم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، عمان، 1996، ص47.

(3) الزعبي، أنور، ظاهرية ابن حزم، مرجع سابق، 1996، ص33.

ولم يكن للخليفة هشام المؤيد من الخلافة إلا الاسم لهذا أسندت الوصاية لحاجبه المنصور بن أبي عامر فأقام الهيبة ودانت له كل أقطار الأندلس فسيطر على الحكم وقضى على كل الخصوم⁽¹⁾.

كان أحمد بن سعيد والد ابن حزم وزيراً من وزراء المنصور العامري، وبعده تقلد ابنه المظفر أبو مروان عبد الملك بن محمد الملك، كانت في عهده أولى تجارب ابن حزم في المجتمع الأندلسي حيث استمر والده وزيراً، وعندما مات خلفه أخوه عبد الرحمن ولقب بالناصر، وفي حكمه بدأت الفتن تسود الأندلس بسبب اندفاعه وطموحه وتسارعه، فحاول أن يكون خليفة المؤمنين فعم السخط في البلاد وأدى إلى الإسراع في وقوع الفتنة، ومع اشتداد المحنة في الأندلس كان ابن حزم يعيش في قرطبة وسط الاضطهاد ومرارة حصار البربر وتفشي الأمراض في المدينة المحاصرة التي أصابها الطاعون، وبعد وفاة والد ابن حزم لم يكن أمامه إلا أن يترك المدينة التي أحبها ونعم بطفولة سعيدة فيها، وعند سماع ابن حزم خبر استرداد الدولة الأموية للحكم عاد إلى قرطبة⁽²⁾.

هذه الأحداث التي عاشها ابن حزم أثرت في نفسه تأثيرات متشعبة النواحي بدأت أولها بشعور ابن حزم بالألم والحزن على قرطبة التي كانت فردوس الأندلس ونور المعرفة فيها، وثانيها أنه رأى استفحال أمر النصارى وضعف أمر المسلمين وهو المؤمن التقي والعالم المحدث مما جعله يحمل على عاتقه مسؤولية الدفاع عن الإسلام.

ثانياً: الحالة الاجتماعية.

من المعروف أن المجتمع يتأثر بالأحداث التي يمر بها فالأحداث السياسية التي مرت بها الأندلس أثرت بشكل كبير على تركيبة المجتمع، لقد كان المجتمع في الأندلس يموج بعناصر

(1) العراقي، محمد، الأصول والفروع، دار النهضة العربية، القاهرة، 1978، ط1، ص89.

(2) العراقي، الأصول والفروع، مرجع سابق، 1978، ط1، ص32.

مختلفة جمعها المكان ولكن لكلٍ أرومته ولكل سلاله خصائصها، فكان فيهم العرب وهم الذين لتقافتهم ولغتهم ولصورهم البيانية الرائعة السلطان الكامل، لذلك كان للأندلس مظهرًا أدبيًا وفكريًا واحدًا وحدته تلك اللغة السامية لغة القرآن الكريم، وكان فيهم البربر وقد كان منهم كمّ له مقامٌ مذكورٌ في الفتح وفيهم حدة الطباع وفيهم نفرة شديدة أحيانًا ولذلك كانوا وقود الفتن، وفيهم من تهذبت طباعه وأرهفت أحاسيسه فكان منهم إنتاج أدبي رائع، وكان في ذلك المجتمع الصقلية والذين اعتنقوا الإسلام من سكان البلاد الأصليين⁽¹⁾.

مع تنوع فئات المجتمع واختلاف الأديان والطبائع والعادات والتقاليد إلا أنه كان للاختلاط والاحتكاك نتائجها الإيجابية على المجتمع وهو الاتصال الفكري والتنوع الثقافي. كما أثرت الحياة الاجتماعية في ابن حزم حيث كان رقيقًا في مشاعره وطبعه أحيانًا فقد كان في شعره يذكر الغزل والمحبين ويكتب تلك الرسائل القيمة في الحب، وكان لذلك المجتمع أثر في طريقة تفكيره وتكوين فكره أيضًا فقد أخذ مادة للدراسة والتحليل والموازنات وظهر ذلك في كتبه، فكتابه مداواة النفوس مليء بنتائج دراساته النفسية لذلك المجتمع الذي كان يمجج بالعناصر المختلفة، والمنازعات المتباينة، والمظاهر المتضاربة⁽²⁾.

ومن استعراض العوامل التي أثرت في حياة ابن حزم الأندلسي يتضح أن ابن حزم قد جمع واسع ثقافته من تعدد الأصول التي عاشت في الأندلس فكان حريصًا على إعلاء شأن الدين والسنة خوفًا منه وحرصًا على مذهبه ودينه وعقيدته، فنتج عن ذلك هذا الكم الكبير من تلك المؤلفات والعلوم المتنوعة والمختلفة.

(1) أبو محمد، علي، رسائل ابن حزم الأندلسي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1987، ط2، الجزء 1، ص125.

(2) إبراهيم، عبد العزيز، ديوان ابن حزم الاندلسي، بيروت، دار صادر للطباعة والنشر، 2010، ط1، ص95.